محمود محمد طه

الإسلام والفنون

صفر ١٣٩٤ – مارس ١٩٧٤

الاهداء

الى المنفتحين على الله ،

السالكين اليه كل السبل ،

فانه ان من شيء الا وهو

الى الله سبيل ! !

« وان من شيء الا يسبح

بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم .. »

بســـــم اللـــه الرحمـــــــن الرحيـــــم

« تسبح له السموات السبع ، والارض ، ومن فيهن •• وأن مـــن شيء الا يسبح بحمـــده ، ولكـــن لا تفقهـــون تسبيحهم •• انه كـــان حليماً غفـــورا •• »

صـــــدق اللـــه العظيـــم

المقـــــدمـة :

هـــــذه مقدمة كتاب « الاسلام والفنون » وهـــو عبارة عـــن متن محاضرة القيت علـــــى طلبة « كلية الفنون الجميلة والتطبيقية » ، وضيوفهم ، وذلك فى يوم الثلاثاء ، ٢٤/٩/١٩٦٨ •• ولقـــــد اخذت هـــذه المحاضرة عـــــن الشريط ، وهى تجـــرى بلغة الكلام ، لا بلغة الكتابة •• كذلك وردت فى الاصل ••

ولقـــد اسمينا هـــذا الكتاب : « الاسلام والفنون » •• ولقـــد كان من الممكن ان نسميه : « الفنون والاسلام » ، ولكننا آثرنا الاول لأن تقـــديم كلمة الاسلام فيه توخ للحكمة التى توجب تقـــديم الفاضل علـــــى المفضول ، فذلك أمر لا معـــدى عنه ، ولكننا كنا ، حين تعديناه فى فكرنا ، وحين هممنا بتسمية الكتاب علـــى النحو المشار اليه آنفا ، كنا نعتذر عـــــن هـــذا الصنيع بخطتين اثنتين : كون هـــــذا الكتاب يعنى ، فى المكـــان الاول ، بالفنون ، ثم يضعها موضعها فى الاسلام •• هـــــذه واحدة ، والثانية ان الفن ، والاسلام ، لصيقان ، وتوأمان •• وهـــــذا يقتضى تعريف الفن ، وتعريف الاسلام ••

الفـــــن :

فأما الفن فقـــد سبق لنا أن عـــرفناه فى متن هـــــذه المحاضرة ، وذلك حيث قلنـــا : ان الفن هـــــو وسيلة التعبير عـــن ملكة التعبير •• وقلنا يومها ان ملكة التعبير انمـــا هى الحياة •• والحياة تعبر عـــــن نفسها بوسائل مختلفة ، فى مستويات مختلفة •• فهى تعبر عـــن نفسها

بالحركة ، وتعبر عــن نفسها بالغذاء ، وتعبر عــن نفسها بالتناســل ، كمــا تعبر عـــن نفسها بالشــعر ، وبالنثر ، وبالغناء ، وبالــرقص ، وبالنحت ، وبالرسم ، وبالتصوير ، وبالتمثيل ، وبالموسيقى ، وبغــيرها مــن ضروب الطاقة الفكــرية ، والجسدية ، التى تفيض ، وتتبجس ••
فهل يعنى هـــذا ان كــل اساليب الحياة للتعبير عــن نفسها فــن ؟؟
نعم !! هــذا علــى التعميم ، وفى جملة الامر ، صــحيح •• بيد أن صــور التعبير التى تمارسها الحياة البــدائية تعتبر فناً فجاً ، وتزيد فجاجته كلما انحصر فى التعبير عــن مجرد نوازع المعدة ، والجسد ••
اننا لا نسمى اساليب الحيــاة ، فى التعبير عــن نفسها ، فنا ، بالمعنى المخصص لهذه الكلمة ، الا اذا ما دخلت هــذه الاساليب علــى مستوى التعبير عــن القيمة ــ القيمة فى الحياة ــ واعلى قيم الحياة الحرية ••
هناك الطــاقة الحياتية ، وهناك الطاقة العقلية ، وانما بالطــاقة العقلية دخلت القيمة فى الحياة •• فالفن انما هــو تعبير الطاقة الحياتية عــن نفسها من خلال مصافى العقول المرتاضة ، الصافية ، القوية الادراك ••
الفن هــو التعبير عــن حياة الفكر ، وحياة الشعور ، فى آن معــاً ••
والطــاقة الحياتية انما هى اصل الحياة ، فى ســذاجة ، وبساطة ••
وهى لا تفلسف ، ولا تتأنق ، ولا تحتفل ، حين تعبر عــن نفسها ••
واســلوبها فى التعبير اسلوب القصــد الصريح ، فى ممارسة اللذة ، واجتناب الالم •• ولكننا نحــن لا نعتبر اندفاعات الشــهوة فى هــذا المستوى فنا مــن الفنون •• وانما الفــن تعبير الشــهوة المحكــومة بالعقل المهــذب ، المروض المنضبط بقــواعد الخلق الرصين •• وانما مـــن اجل ترويض ، وتهــذيب ، العقول حمدت مســاعى الفنون ، فى صورها المختلفة ، وبأساليبها المختلفة •• وانما قيمة كــل اســلوب من اساليب الفنون هى قيمة ما يقربنا مــن تلك الغــاية •• وفى هـــذا المضمار يقــع التفاوت بين أفانين الفنون ، وفيــه أيضا يقــع اختلافه

ما بين الفــن والدين ــ الاســلام •• ومعلوم انــه انما هــو دائماً اختلاف مقدار •• ولقــد تعرضنا لتعريف الفــن فى الاســطر القليلة الماضية ، ولقــد قررنا هنــاك أن الفــن والاسلام لصيقان ، وهــذا يعنى انهما وجهــان لامر واحــد •• هــذا الامر الواحد انما هــو الحياة •• فالفــن اسلوب تعبير للحياة به يزيد عمقها ، واتساعها •• والاسلام اسلوب تعبير للحياة به يزيد عمقها ، واتساعها •• ولكــن اسلوب الاسلام اشمل ، واعمق ، وابعد مدى ، من اسلوب الفنون •• ولقــد وردت الاشارة الى الاسلوبين : اســلوب الفنون ، واســلوب الاســلام ، فى الاية الكــريمة : ((سنريهم اياتنا ، فى الآفــاق ،وفى انفسهم ، حتى يتبين لهم انه الحــق •• أولم يكف بربك انه علــى كل شىء شــهيد ؟؟)) •• فهــذه آيات الآفــاق ، وآيات النفوس •• وهى جميعها موضوع الفنون ، وموضوع الاسلام •• فأما الفنون فانها تعنى بآيات الآفــاق ، اكثر مما تعنى بآيات النفوس ، ولكــن عنايتهــا بهــذه غــير غائبة •• واما الاسلام فانه يعنى بآيات الآفاق ، ويتخذها مجــازاً الى آيات النفوس ، وعنــايته بهــذه ، وبخاصة فى اخــريات مراقيه ، اكبر واعظم •• وللعلم التجــريبى فى هــذين مجال ، ولكنه ليس هنا بذى بال •• ويكفى فيــه ان يقــال : ان الفــن ، والدين ، والعلم ، متداخلة ، والاختلاف بينها انما هــو اختلاف مقدار ••

الاســـــلام :

وعنــد الاسلام آيــات النفوس مقصــودة بالاصالة ، وآيــات الآفــاق مقصودة بالحــوالة ، بمعنى ان الانسان يعبر علــى آيــات الظــاهر ليصل الى فهم آيــات الباطن ، فينسقها مــع الظــاهر حتى تستقيم له حياته ، وتتعمق ، وتتسع •• وفى الاسلام الظاهر انما هــو ظل للباطن ــ الكــون الظاهر انما هــو الكــون الباطن فى حالة بروز

وتجسيد •• والاسلام انما يعنى الانقياد ، والاستسلام •• وهـو يبدأ بمحاولة الحى ان يوجـد نوعاً مـن العـلاقة الحميمة بينه وبين البيئة الطبيعية التى يعيش فيها وذلك باقامة نوع من المصالحة ، والمصادقة ، والمودة معها •• أو نوع مـن التقية ، والمحـاذرة ، والخشية منها •• ومن ههنا نشأت العبادة ، ونشأ العلم ، ونشأ الفـن ••

ان الوجـود المـادى ، المحسوس ، انما هـو لحن من الموسيقى العلوية •• هـو لحن متسـق ، منسجم ، مهـذب ، لا نشوز فيـه ، ولا شذوذ •• ونحـــن الآن انما نتعلم العلم لكى نستطيع به ان نسير بحياتنا فى مصاقبة ، وفى سلام مـع هـذا اللحن العلوى العظيم •• نحـن انما نتعلم العلم الذى يعيننا علـى تنغيم حياتنا مـع بيئتنا •• ولقـــد علمنا ان هـــذا العلم لن يكـــون علم الظواهر الطبيعية ، فحسب ، وانما هـو علم الظواهر والبواطن — علم آيـات الآفـاق ، وآيـات النفوس — وبواطن للظواهر تقـول : ان الكـــون المادى ، المحسوس ، انما هـو الارادة الالهية جمدت ، وتجسدت •• ان الكون هو مظهر قدرة الله ، تبارك ، وتعالى ، فانه ، تبارك وتعالى ، عنـدما أراد اظهار المخلوقات احـاط بها علماً ، باسمه العـالم •• ثم خصص الصورة البدائية لظهـورها ؛ وذلـك باسمه المريد ، ثم أبرز هـــذه الصورة ، الى حيز المحسوس ، وذلك باسمه القادر •• وباسم القـادر تم تجسيد العلم الالهى •• والعلم الالهى صـفة قديمة ، قائمة بـذات الله القديمة •• فما هـو غيرها ، وانما هـو هى ، فى مرتبة التنزل ، لتظهر ، لتعـرف ••

ان البيئة التى نعيش فيها انما هى بيئة روحية تجسدت ، وكـان من تجسيدها السموات ، والارض ، وما فيهما ، وما بينهما ، واصـبح علينا ، لكى نعيش فى وئام مـــع بيئتنا ، ان نعلم ظاهرها — آيـات الآفاق ، ونعلم باطنها — آيـات النفوس •• قال تعـالى ، فى ذلـك ،

« سنريهم آيـاتنا ، فى الآفـاق ، وفى انفسهم ، حتى يتبين لهم انه الحق •• أولم يكف بربك انه علـى كل شىء شهيد ؟؟ » ونحـن ، مـن اجل هـذا العلم ، نحتاج العلم التجريبى ، وهـذا اكثر تركيزاً علـى الظواهر ، منه علـى البواطن •• بل هـو يكاد يقتصر علـى الظـواهر وحـدها •• ونحـن ، مـن اجل هـذا العلم ، نحتـاج الفنون ، بكـل صورها ، وضروبها ، وهـذه موزعة بين الظـواهر والبواطن ، وتركيزها علـى الظواهر اعظم ، ودخولها فى البواطن غير موجه بالنهج الـذى يضمن لهـا التغلغل فى هـذه البواطن ، ممـا يزود الفنان بالقدر الكافى مـن علـم اسرارها ، وانما هى تقتصر علـى الهامات نفس الفنان ، وموهبته ••

ونحـن نحتاج الدين مـن اجل هـذا العلم •• والدين يبدأ بالظواهر ، ويتخذها معبراً الى البواطن •• وهـو انما يزيد تركيزه على البواطن كلما تمرس المتدين بمنهاج العبادة ، وكلما روض عقله ، وقلبه ، علـى ادب الشريعة ، وادب الحقيقة •• « أولم يكف بربك انه علـى كل شىء شهيد ؟؟ » اشارة الى الاسـتغناء بالبواطن عـن الظواهر •• اشارة الى الاستغناء بالله عـن جميع الخلق •• وذلك انما يكون عنـد الاستواء ، حيث لا يبقى ، فى الوجـود ، غير العبد ، والرب ـ العبيد الآخرون موجـودون ، ولكن وجـودهم لا يتخذ وسيلة الى معرفة الله ، وانما معرفة الله وسيلتها ذاتها ـ هـذه تبدأ عند نهايات البدايات ، ويطالع بهـا المصطفون ، الأخيار ، فى هـذه الدار ، ثم لا تكـون لنهاياتها نهايات ، وانما هـو الترقى السرمدى ••

الموسـيقى :

الموسيقى اسمى الفنون ، واعلاها ، واقدمها •• وهى ، فى حقيقتها القديمة ، هـذا اللحن العلوى ، الذى تحرك فى سلمه السباعى ، يحكى

منازل الانسان وهو يسير فى طريق الاغتراب ، ثم يحكيها وهــو يسير فى طريق الرجعى الى الوطــن القديم •• هـــذه الحركة هى المحكية فى قوله ، تبــارك ، وتعــــالى : « لقــد خلقنا الانســـان فى احسن تقويم * ثم رددناه اســفل سافلين * الا الــذين آمنوا ، وعملوا الصالحات ، فلهم اجر غير ممنون » •• فى هـــذه ثلاث الآيات جاءت صورة الاغتراب ، وصورة العودة مــن الاغتراب •• هــذه الحركة ، فى الهبوط ، وفى الرجعى ، هى حقيقة الموســيقى •• وهى ، فى جميع مراحلها فى البعد والقرب ، ذات سلم ســباعى •• مرحلتها الاولى ، فى طريق البعد ، الصــفات السبع : الحى ، العــالم ، المريد ، القــادر ، الســميع ، البصير ، المتكلــم •• ومرحلتها الثانية الحــواس السبع : القلب ، والعقـــل ، والســمع ، والبصر ، والشـــم ، والــذوق ، واللمس •• ومرحلتها الثالثة النفوس السبع : الكــاملة ، والمرضــية ، والراضية ، والمطمئنة ، والملهمة ، واللــوامة ، والأمارة •• ومرحلتهــا الرابعــة الايام الســبعة : الأحد ، والاثنين ، والثــلاثاء ، والاربعاء ، والخميس ، والجمعــة ، والســبت •• ومرحلتها الخــامسة السموات الســبع : السماء السابعــة ، والسادسة ، والخــامسة ، والرابعــة ، والثــالثة ، والثــانية ، والأولى •• ومــرحلتها السادسة الأرضــين الســـبع : الارض الأولــى ، والثــانية ، والثــالثة ، والرابعـــة ، والخامسة ، والسادسة ، والسابعة •• ومركز هــذه هــو اسفل سافلين المشار اليــه فى الآية الكــريمة ، حيث قال ، جل مــن قائل : « ثم رددناه أسفل ســافلين » •• وقــد نزل الانسان هـــذه المنزلة فى مرحلة التنزل الســابعة •• ثم انه استأنف سيره ، فى طريق الرجعى ، من هـــذا البعد السحيق •• ولقــد جاءه الاذن بان يأخذ فى طــريق الرجعى ، وذلــك حيث حكى الله تبــارك وتعالى عنــه : « فتلقى آدم مــن ربه كلمات فتاب عليــه ، انه هـــو التواب الرحيم •• » وانما

تاب عليـــه ليتوب — يعنى ليرجع ••
وفى اسفل سافلين ، وهـــو مركز الارض الســـابعة ، كان آدم فى ادنى درجـــات التجسيد ــ ذرة غاز الهيدروجين •• ثم انه اســـتأنف سيره فى طـــريق الرجعى فنزل المنازل المختلفة •• وحين دخـــل مرتبة المـــادة العضوية ، وظهر فى حيوان الخلية الواحـــدة ، بدأت الحواس بحاسة اللمس (الحس) •• واطـــرد ترقيه حتى دخل مرتبة الحيوان السوى ، المكتمل •• وهــــذا معنى قـــوله تبـــارك وتعالى : « فـــاذا سويته » •• ثم اطـــرد ترقيه ، ودخـــل مرتبة البشـــرية ، وصار لـــه عقل •• فذلك معنى قـــوله تعـــالى : « ونفخت فيـــه من روحى » •• ثم انه نزل منزلة التكليف ، حين صـــار له عقـــل ، وحين اصـــبح لـــه فى ملكوت الله ذكر ، بعـــد ان لم يكـــن •• فذلك معنى قوله تعالى : « هل اتى علـــى الانسان حين مـــن الدهر لم يكن شيئا مذكوراً ؟؟ »
هـــــذه هى الموســـيقى فى حقيقتها العليا •• هـــــذا اللحـــن المنسجم ، المنسق ، المهـــذب الحواشى ، المنطلق فى طـــريقى الصدور والورود ــ الصـــدور مـــن موطنه الأول الى موطن البعد والاغتراب ، والورود مـــن هـــــذا البعد آيباً الى موطنه الاول مـــن جديد بعـــــد طول هـــــذا الاغتراب ، وطـــول هـــــذا البعد ــ هـــــذا اللحن ــ هـــــذه الحركة المحتشدة ــ هـــــو الموسيقى فى حقيقتها العليـــة •• وطـــــريق الأوبة ، مـــــن اسفل سافلين ، الى الموطـــــن الاول ، فى احسن تقـــويم ، طـــريق مرسوم عبر الارضـــــين السبع ، والسموات السبع ، فى تعـــاقب الايام السبعة ، فى مـــراقى النفوس الســـــبع ، والحواس السبع ، والصـــفات السبع ، الى مرتبة الانسان الكامل ذات المقـــامات السبعة ••
وفى اثناء طـــريق العودة ، ومـــن خلال تعاقب الايام الســـبعة ، نشأت العناصر المختلفة ، ثم نشأت الحيـــاة ، ونشأت الأديان ، ونشأت

العلوم ، ونشأت الفنون ، وذلك فى الآماد السحيقة ، من الازمنة السحيقة .. ونحن ، فى هذا المجال الضيق ، لا يسعنا الا ان نقفز قفزة كبيرة ، نصل بها الى نهايات البدايات ، حيث الأديان والعلوم التى نألفها اليوم ، وحيث الفنون فى المستوى الذى نعرفه عن الكلمة المنظومة ، والكلمة المنثورة ، وحيث النحت ، والرسم ، والتصوير ، والغناء ، والرقص ، والموسيقى ، والتمثيل ، وبقية ضروب الفنون .. واعرق للفنون ، واعظمها ، واشرفها ، على اطلاقها ، الموسيقى .. وانما يجىء شرفها من امرين : احدهما ارتباطها بالاصوات ، والصوت لازمة لا تنفك عن الحركة ، والحركة اصل الوجود الحادث ، على اطلاقه .. وثانيهما انها تدرك بحاسة السمع .. وحاسة السمع اشرف الحواس السبع (ما عدا القلب والعقل) فهى تلى القلب ، والعقل ، وتجىء بعدها حاسة البصر ، ثم حاسة الشم ، ثم حاسة الذوق ، ثم حاسة اللمس (الحس) .. ويجىء شرف حاسة السمع على حاسة البصر ، وبقية الحواس الاخرى ، من سعة ما تؤدى الى العقل من معلومات ، والى القلب من احاسيس .. هذا ما من اجله قدم السمع على البصر فى سائر آيات القرآن ، واعطى منزلة الشرف فيها ..

السمع يتأثر بالاصوات ويؤديها الى العقل ، والقلب .. والاصوات هى الأكوان جميعها ، المرئى منها ، وغير المرئى ، والمسموع منها ، وغير المسموع .. فانه ما من شىء فى الكون الحادث الا وهو فى حركة لا تنقطع ، حتى اكثف المواد التى نراها ، ونعرفها ، فانها ، فى الحقيقة ، مهلهلة ، مخللة بفجوات تتحرك فيها ذرات تكوينها حركة متصلة كما تتحرك ذرات البخار فى السحابة « وترى الجبال تحسبها جامدة ، وهى تمر مر السحاب .. صنع الله الذى اتقن كل شىء .. انه خبير بما تفعلون .. » وكل متحرك لابد مصوت ، ولكننا

فحن لا نسمع الا قطاعاً خاصاً ، وصغيراً جداً ، من اصوات هذه العناصر المتحركة .. ان ما نسمعه منها بالنسبة الى ما لا نسمعه كالنقطة من المحيط بل هى اصغر .. ولقد قيدنا بعض الاصوات التى نسمعها فيما سمى بالحروف الرقمية وهى ، عندنا فى اللغة العربية ، ثمانية وعشرون حرفاً ، هى الحروف الأبجدية المعروفة ، هذا اذا لم نعد لام الألف والهمزة المقطوعة .. وهناك كثير من الأصوات التى نسمعها لا تخضع فى ضبطها للحروف الرقمية .. وجاء تسجيل الموسيقى للأصوات بصورة أوفى من تسجيل الحروف الرقمية .. وهو ذو سلم سباعى هدفه دقة التنغيم فى الانتقال بين مستويين من مستويات الصوت ، وكأنه ، فى ذلك ، حكاية لأطوار الخلق السبعة التى سبقت الاشارة اليها ، فى امر الصفات ، والحواس ، والنفوس ، والسموات ، والأرضين ، والايام .. وغرض الموسيقى من اللحن المنغم ، المتسق ، المهذب الحواشى ، ان توجد فى داخل النفس البشرية نوعا من التنغيم ، والاتساق ، والتهذيب ، يحل محل التشويش ، والنشاز ، الذى يعتمل فيها .. هذا هو السر فى الراحة التى تجدها النفس عند الاستماع الى قطعة من الموسيقى الراقية ، ومع ذلك فان الموسيقى ، فى جميع مستوياتها ، قاصرة عن تأدية هذا الغرض ، الا لفئة قليلة جدا من الناس .. وهى ، حين تؤديه انما تؤديه فى حد ضيق جداً وذلك يرجع لسببين رئيسيين ، أولهما : ضيق نطاق الاصوات الذى تعمل فيه الموسيقى ، اذا ما قورن بالاصوات من الحركات التى هى موروث النفس البشرية فى منازلها المختلفة التى اوردنا اليها الاشارة آنفا .. وثانيهما هو أن الموسيقى لا تملك منهاجاً يقوم بترويض النفس البشرية ، وتدريجها ، حتى تستطيع ان ترتفق بالموسيقى الراقية فتحقق بسماعها قدراً من التنغيم الداخلى ،

والمواءمة ..

القـــرآن هـــو الموســـيقى :

القـــرآن المقروء ، والمحفوظ بين دفتى المصـحف الشريف ، قـــد حـــوى جميع الاكوان القـــديمة ، والحديثة .. وهـــو هـــو اللحن العلوى الكبير ، المنطلـــق يرسم طريق صدور الانسان ، مـــن منبعه ، وطـــريق رجـــوعه ، الى مصبه ــ الـــذات الالهية ــ حواها ، وحـــوى حـــركاتها ، فلم يغادر منها شيئا .. قال تعالى ، فى الاشارة الى ذلك : « ووضع الكتاب ، فترى المجـــرمين مشفقين مما فيه ، ويقـــولون : يا ويلتنا !! مال هـــذا الكتاب لا يغـــادر صغيرة ، ولا كبيرة ، الا احصاها .. ووجـــدوا ما عملوا حاضراً ، ولا يظلم ربك احـــداً .. » معلوم ، لـــدى المعنى القـــريب ، ان الكتاب المقصود هنا هـــو كتاب اعمـــال الافراد .. ولكـــن ، لدى المعنى البعيد ، فـــان الكتاب هـــو القرآن .. وهـــو لا يغادر صـــغيرة ، ولا كبـــيرة ، فى ذرات ، واجرام ، الاكوان الا احصاها ، قيداً وشـــمولا .. وفى نفس هـــذا المعنى يرد الحوار الـــذى جرى بين فرعون وموسى : « قال فمن ربكما يا موسى ✽ قال ربنا الـــذى اعطى كل شىء خلقه ثم هدى ✽ قال فما بال القرون الاولى ✽ قال علمها عند ربى فى كتاب .. لا يضل ربى ولا ينسى .. » فان هـــذا الكتاب انما هـــو القرآن .. والقرآن انما رصد سير موجة الاكوان ، العلوية والسفلية ، وفى مقدمتها الانسان ــ رصدها بين الصدور والورود الى المنبع الذى منه صدرت ــ لأنه انما هو كتاب تسليك وهداية .. وفيـــه يقول تعـــالى : « وقلنا يا آدم اســـكن أنت وزوجك الجنة ، وكلا منهـــا رغداً حيث شئتما ، ولا تقربا هـــذه الشجرة فتكونا مـــن الظالمين ✽ فازلهما الشيطان عنها ، فاخرجهما مما كانا فيه ، وقلنا : اهبطوا !! بعضكم لبعض عـــدو ، ولكم فى الارض مســـتقر ، ومتاع ، الى حين ✽ فتلقى آدم مـــن ربه كلمات ، فتاب

عليه .. انه هـــو التواب الرحيم * قلنا اهبطــوا منها جميعاً !! فاما يأتينكم منى هـــدى ، فمن تبع هـــداى فلا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون ...)) هـــذه هى لمحة مـــن قصة اكتمال الخلقة ، واكتمال التقويم ، ((يا آدم أسكن انت وزوجك الجنـــة ، وكلا منها رغداً حيث شئتما)) وهى قصة الخـــروج فى طريق البعد ((قلنا اهبطوا !!)) ، وهى قصة الصـــراع فى موطن البعـــد ، والاغتراب ، ((بعضكم لبعض عدو)) وهى قصة أجـــل الاغتراب ، فى موطن الاغتراب ، ((ولكم فى الارض مستقر ، ومتاع ، الى حين)) .. ثم هى قصة الاذن بالعـــودة الى الوطن القديم ((فتلقى آدم مـــن ربه كلمـــات ، فتاب عليه)) .. ومن باب التوبة اهداء طريق العودة الى الوطن القديم ((فاما يأتينكم منى هـــدى ، فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون)) .. وهذا الهدى انما هـــو القرآن : ((ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم)) .. ومعنى ما فى هـــذه الآيات الكـــريمات هـــو ما ورد فى قوله تعالى فى سورة والتين : ((لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم * ثم رددناه أسفل سافلين * الا الذين آمنـــوا ، وعملوا الصالحات ، فلهم أجـــر غير ممنون ..)) ولا تتم الهداية ، فى طريق العودة بالقـــرآن ، لجميع الخلائق ، فى دار واحدة ، فان منهم مـــن تبدأ هدايته فى الدار الدنيا ، ومنهم مـــن تبدأ هدايته فى الدار الاخرى .. وكلهم مصيره الى السير السرمدى عـــلـــى طريق الرجعى الى الله ، فانه ما مـــن الله بد .. ((يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحاً فملاقيه)) ..

لقد تحدثنا فى متن المحاضرة ، عن ان الاصل فى صناعة الأوتار التى تنقل الالحان ، انما هى تجربة بخيط ، يثبت فى طرفيه ، ثم ينقر ليتذبذب بكليته ، وترصد ذبذبته ، ثم يقسم الى نصفين ، وينقر كل نصف، ثم يقسم الى أثلاث ، والى أرباع ، وهكذا .. وترصد ذبذبة كل جـــزء .. هكذا الشأن فى القـــرآن ، فان الوتر الـــذى يعـــزف فيه لحنه مشـــدود بين

طرفى الصـــــدور والورود ، وتتحرك فيه نقطـــــة ، تمثلها ، فى الوتر الموســـيقى ، النقطـــة التى تقسم الخيـــط الى اثلاث ، واربـــاع ، واثمان •• الخ الخ •• فالطـــرفان المشدود بينهما وتر القـــرآن هما : الذات لدى الصدور (الحقيقة العبدية) ، والذات لدى الورود (الحقيقة الالهية) « ان مثل عيسى ، عند الله كمثل آدم ، خلقه مـــن تراب ، ثم قال له كن فيكون ﷺ الحـــق من ربك ، فلا تكن من الممترين •• » ثم بدأ تحرك الحـــق ، تنزلا مـــن الحقيقة ، فى منازل البعد ، منزلة ، منزلة ، فى سلم ســـباعى ، حتى نزل الحـــق منزلة اســـفل سافلين •• وهـــذا التنزل ، فى طـــريق البعد ، هـــو ما وردت اليه الاشـــارة بقـــوله تعالى : « ثم رددناه أسفل سافلين » •• ومنزلة اسفل سافلين منزلة حـــق •• فما هى بمنزلة باطل ، الا فى حكم الشريعة •• والحق دائماً نسبى ، والحقيقة مطلقة •• والحق يتحرك يطلب الحقيقة ، وهو يدخل مداخلها كلما تخلص مـــن طـــرف الباطل الذى اقام عليه حكـــم الشرع •• ونحـــن ، لطـــرف التنزل مـــن المصـــدر الى منزلة اســـفل سافلين ، لا نعطى مجـــالا فى مقدمتنا هـــذه ، وانما نعطى كل اعتبارنا لطرف العودة الى المصدر من منزلة أسفل سافلين •• وانما ذلك لمكـــان الارادة البشرية فى هـــذا الطرف ، وانعدامها فى ذلـــك •• ولم تجىء الارادة البشرية فى طـــرف الورود ـــ السير فى مراقى القرب ـــ الا فى وقت متأخـــر ، ولكنها ، مـــع ذلك ، قـــد اعطت هـــذا الطرف منزلة الشرف على طرف التنزل •• والموسيقى القرآنية التى تهمنا الآن ، انما هى معزوفة علـــى الوتر المشـــدود بين اسفل ســـافلين ، وبين الحقيقة الالهية ، فى أول نقطـــة الورود •• فى هـــذا المضمار يـــرد الترقى بوسائل الشريعة ، ووسائل الطـــريقة ، ووسائل الحقيقة •• وهـــذان الطـــرفان (الحقيقة الالهية ، واســـفل سافلين) نقيضان ، أو قـــل : ضدان ، أو قل : زوجان •• وكما ان الموســـيقى حركة بين طرفين ،

تريد أن تملأ الفـراغ بالنغم المنسجم ، المتسق ؛ فكـذلك العبادة ، هى محاولة لملء الفراغ بين طرفين بتحرك منسق ، ومهـذب ، من الطـرف الأدنى الى الطـرف الاعلـى ، مـن غير قفزات ، ولا نشـوز ، ولا اضطراب ٠٠وهـذا وجه مـن الشبه كبير بين اللحـن الموسيقى ،فى الموسـيقى ، واللحن الموسيقى ، فى حياة الحى ، العاقل ، السالك ٠٠ وانما جاء القرآن بموسيقاه التى ذكرناها ليرشد السالكين فى طـريق عودتهم ، مـن الاغتراب الى الوطن ــ مـن البعد الى القـرب ــ أو قل : من الادنى الى الاعلى ، أو قل : من الحيوانية الى الانسانية ٠٠ « الم * ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين ٠٠ » ٠٠ والضدان ، أو قـل : الزوجان هما أصـل الوجـود الحادث « ومـن كل شىء خلقنا زوجيـن ، لعلكم تذكرون * ففـروا الى الله ، انى لكـم منه نذير مبين » ٠٠ وانما خلق الله ، فى الوجود ، الزوجين ٠٠ لنفهم عنه نحن لأن عقـولنا لا تميز الاشياء الا باضدادها ٠٠ فنحـن لا نعرف الحلو الا بوجود المر ، ولا نعرف الخير الا بوجود الشر ، ولا نعـرف الحياة الا بوجـود الموت ، ولا نعـرف النور الا بوجود الظلام ٠٠ فكل شىء قد خلق زوجين اثنين « سبحان الذى خلـق الازواج كلها : مما تنبت الارض ، ومن انفسهم ، ومما لا يعلمون ٠٠ » وفى قمة الازواج : الله والانسان الكامل ٠٠ والى هـذا الاشارة بقوله تعـالى : « ومما لا يعلمون » ٠٠ وفى سيرنا فى العوالم انما نحـن سائرون الى الله ــ

انما نحـن مرتفعون مـن الادنى الى الاعلى ــ نستعين ، فى سيرنا ، بالتمييز المسـتمر الـذى تروض عقـولنا عليه الازواج المختلفة ، فى الموجـودات المختلفة ، اذ نحـن مامورون بالسير من الموجـودات الى الموجد ، ومن الاكوان الى المكون ، « ففـروا الى الله ، انى لكم منه نـذير مبين » ٠٠ وانما انزل الله القـرآن ليعيننا علـى تسديد ،

وترشيد ، فرارنا هـــذا ، من كل ما سوى الله ، الى الله ..

ولقــد استعمل القرآن فى موسيقاه الحرف ، واستعمل الكلمة .. استعمل الكلمة فى دقة مــن المعانى معجز ، وفى جمال مــن التركيب معجــز ، وفى لحــن مــن النظم الفنى يبعث فى النفس الطـــرب ، والنشاط ، والرغبة فى التكرار الــذى لا يمل .. ولم يستعمل القــرآن الحروف الا بعــد ان استنفد وسع الكلمات .. وهــو انمــا استعمل الحــــروف ليخبرنا ان معانيه اكبر مــــن ان تؤديها الكلمــات ، مهما طوعت .. وتبدأ الحــروف ، علــــى ذلك ، بعد ان تعجز الكلمات ..

ولقــد استعمل القــرآن اربعة عشر حرفاً ، من الحــروف الأبجــدية الثمانية والعشــرين ، فى افتتاح تســـع وعشرين ســورة ، علـــى اربع عشرة تشكيلة .. ومعانى الحــروف عنده تنزل فى ثــلاث مراتب : مرتبة الحـــــروف الرقمية ، وهــذه هى الثمانية والعشرون حــــرفاً المعروفة فى أبجدية اللغــة العربية .. وأعلــى منها مرتبة الحــروف الصوتية ، وهـــــذه تتعلق بالأصوات .. والاصوات بدورها تتعلــق بالحـــــركات .. ولقــــد قررنا ان جميع ذرات الوجــود فى حــركة لا تنقطع .. فهى اذن مصوتة ، واصواتها لا تنقطع .. فنسبة الحروف الرقمية الى الحروف الصوتية كالقطرة الى المحيط .. ثم أوسع مـــن هـــذه ، وتليها فى الرفاعــة ، مرتبة الحــروف الفكرية .. وحــركة الفكر اسرع مــن حــركة المادة ، فى الطف صورها ــ الضوء .. حركة الفكر اسرع مــن سرعة الضوء .. فالحروف الفكرية تكــاد فى سعتها تلحق بالاطلاق .. وهى ، فى الحقيقة ، تقف علـــى عتبة الاطلاق .. فعندما يتناهى الفكر فى الحــركة يعجز عـــن الحركة ، ويتوقف .. وفى نقطة توقفه يبدأ الاطلاق .. وهـــذه النقطة هى قمة ما توصــل اليه اشارة القرآن .. فالقــرآن ، فى جملة ما تؤدى كلماته ، وحروفه ، ليس هــو عبارة عـــن الذات ، وانما هـــو مجـــرد اشارة الـــى

الذات •• فالذات فوق العبارة ، وهى ، فى الحقيقة ، فوق الاشارة •• فغاية ما تؤدى اليه موسيقى القــرآن هى توصيلنا الى عتبة الــذات ، ثم تخلى بين حياتنا ، وبين الحياة السرمدية ، الخــالدة ، التى لا تحيط بهــا العبارة ، وتقصر عنها حتى الاشارة •• (راجــع الرسالة الثانية من الاسلام) ••

فقمة ما تؤدى اليه موسيقى القــرآن اذن هـــو قمة ما تنتهى اليه الحــروف الفكرية •• وانما تنتهى الحــروف الفكرية الى حالــة التوقف ــ الى حالة عجز الفكر عــــن التفكير ــ وذلك ما سمى ، عند الصوفية ، بحالة العجز عــــن الادراك ، وقد قالوا فيــه : العجز عن الادراك ، ادراك •• وهــــو بعينه ما يعــرف عندهم بحالة الحيرة •• وعــن هذه الحالة يقول سلطان العاشقين ابن الفارض :ــ

زدنى بفرط الحسن فيك تحيرا ❊ وارحم حشى بلظى هواك تسعرا ••

وهـــذه الحالة هى حالة الوقوف علـــى عتبة الذات •• وانما يحار الفكــر فيها لانقطاع الضدية عنها •• فهى أحدية الصــفة ، وترية الوجــود •• وفى هـــذا المستوى يبلــغ الفكـــر ذروة قــوته ، واستحصاده •• ويبلغ القلب ، تبعاً لذلك ، قمة رحابته ، وسلامته •• ويبلغ الحى بهــذين قمة حياة الفكر وحياة الشعور •• وهذه هى الحياة التى ينتهى اليها الترقى فى الصفات السبع ، التى هى صفات الهية ، وقد وردت الاشارة اليهــا فى أول المقـــدمة ، وهى : الحيــاة ، والعلم ، والارادة ، والقدرة ، والسمع ، والبصر ، والكلام •• هــــذا باعتبار التنزل ــ باعتبار السير فى طريق البعد ــ أما باعتبار المعراج ــ باعتبار السير فى طــريق الرجعى مــن البعد الى القرب ، ومــن الاغتراب الى الوطن ، فهى تتصعد هكــذا :ــ الكلام ، فالبصر ، فالسمع ، فالقدرة ، فالارادة ، فالعلم ، فالحياة •• وهــذا هــو اتجاه موسيقى القــرآن الذى سقناه الى عتبة حيرة الفكر ••

ان الفكر لهـو الاكسير الذى به تتسع الحياة ، وتتعمق •• وهو ، مـن أجل ذلك ، وظيفة القـرآن الاولى •• ولقـد قال تبارك وتعالى فى ذلك «« وما ارسلنا ، مـن قبلك ، الا رجالا ، نوحى اليهم ، فاسألوا اهل الذكـر ان كنتم لا تعلمون * بالبينات ، والزبر •• وانزلنا اليك الذكر ، لتبين للناس ما نزل اليهم •• ولعلهم يتفكرون »» •• «« وانزلنا اليك الذكر »» يعنى القـرآن كله «« لتبين للناس ما نزل اليهم »» وهو القـدر من القـرآن الذى يطيقونه ، ويحتاجـونه ، تبينه بالتشريع ، وبالتفسير •• «« ولعلهم يتفكـرون »» يعنى ان الغـرض من ارسـال الرسول ، ومن انزال القـرآن ، ومـن تبيينه بالتشريع وبالتفسير ، هـو ان يتفكر الناس ، وان يقـوى تفكيرهم بالرياضة ، وبالمرانة فى العبادات •• ولقـد افادت الآيـة السابقة لهـذه نفس المعنى •• فكأنما جميع رسـالات السماء ، وجميع كتب السماء ، مطوعة لترويض الفكـر •• فالفكر هـو خادم الحياة القـوى ، الأمين •• ولقـد سايرت موسيقى القـرآن الفكر ، مـن لدن اسفل سافلين ـ مـن لدن بروز الانسان فى المادة غـير العضوية (ذرة غاز الهيدروجين) ، حتى بلغت هـذه المـادة غـير العضوية مرتبـة المـادة العضوية ، ببروز حيـوان الخلية الواحـدة ، ومـا انفكت تسـايره ، وتتعهده ، وتمخضه ، مـن حياة الحى ، كما تمخض الزبدة مـن اللبن ، حتى بلغت به طـور البشرية الحاضرة •• وهى لن تنفك تسايره ، وتتعهده ، وتروضه ، وتهذبه ، حتى تبلغ به مرتبة الانسان الكامل •• وهيهات !!

لقـد قررنا ان موسـيقى القرآن معزوفة علـى وتر مشدود بين طـرفين ، وتتحـرك فيه نقطة •• وقررنا ان هذين الطرفين هما : الباطل ، والحقيقة •• وقررنا ان الباطل ليس باطـلا مطلقاً ، وانما هو ادنى منازل الحـق •• وقررنا أيضا أن النقطة التى تتحـرك انما هى الحق ، متطوراً نحو الحقيقة ، منطلقاً من ادنى منازله •• ونقـرر هنا

ان هـــذه الهيئة انما هى هيئة الفكر •• فالفكر حـــركة بين طرفين ، هما : الذاكرة ، والخيال •• فكأنما الهيئة هيئة ثالوث ، علـــى الطرفين النقيضان ، ويتحـــرك بينهما متحـــرك هدفه التوحيد بين النقيضين ففى ذلك اكتماله ، واستواؤه •• فالفكر يبلغ اقسوى ما يكون حين يستوى علـــى خـــط الاستواء بين هـــذين النقيضين ـــ الذاكرة والخيال •• وعندما جعلت وظيفة القـــرآن ترويض هـــذا الفكر ، وتهذيبه ؛ جعل خير ما فيـــه الكلمة « لا اله الا الله » •• ولقـــد جاءت لا اله الا الله بين النفى « لا » ، والاثبات «الا » ، فلكأنها تقرر أن الحـــق ، اقوى ما يكون الحـــق ، لا هـــو الى طـــرف النفى ، ولا هـــو الى طـــرف الاثبات ، وانما هـــو « بين بين » •• ونقطة « البين بين » هى نقطة الاستقامة التى قال عنهـــا المعصوم :ـــ « شيبتنى هود واخواتها » ، وذلك فى قوله تبارك وتعـــالى من سورة هود « فاستقم ، كما امرت ، ومـــن تاب معـــك ، ولا تطغوا •• انه بما تعملون بصـــير » •• ففى تحقيق الاستقامة تدريج الفكر ، وتهـــذيبه ، وتقويته ، وتحييده عـــن الميل لأى مـــن الطـــرفين اللذين يتجـــاذبانه •• وهـــذه هى وظيفـــة تحقيـــق التوحيد ، بكلمة التوحيد « لا اله الا الله » •• وانما مـــن اجل تحقيقها جاءت عبادات الاســـلام ، وعاداته •• جاءت الصـــلاة بحضرتيها ـــ حضرة الاحـــرام ، وحضرة السلام ـــ ولقـــد فرضـــت الصـــلاة فـــوق السموات السبع •• وجعلت حـــركات الركعة ســـبع حـــركات •• وجعل السجود ، الذى هـــو قمة حـــركات الصلاة ، علـــى سبعة عظام ، مـــن عظام الجسد •• فهـــذه الحركات « السباعية » هى بسبيل مـــن منازل الحـــركات السبع ، التى اكثرنا ذكرها فى حديثنا فى هـــذه المقدمة ، حتى لقـــد تحـــدثنا عـــن السلم السباعى فى الموسيقى ••

وبمناسبة سلم الموسيقى السباعى ، فان حركة الفكر أيضا تسير فى

سلم سباعى ٠٠ لقـــد سبق ان قررنا ان الفكـر يتحرك بين طرفين ، هما : الذاكرة ، والخيال ٠٠ ونحـــن لا نخرج عـــن هـــذا المعنى اذا قررنا ان هـــذين الطرفين ، هما : الماضى ، والمستقبل ٠٠ فجولان الفكر بين طـرفى الذاكرة (الماضى) والخيال « المستقبل » يعزف على سلم سباعى ، هـــذا السلم السباعى يعـرف عنـد السادة الصـوفية بمراتب النفوس السبع ٠٠ وهى : النفس الأمـاراة ، والنفس اللوامة ، والنفس الملهمـة ، والنفس المطمئنـة ، والنفس ، للراضيـة ، والنفس المرضية ، والنفس الكاملة ٠٠ ومراتب النفوس هـــذه انما هى طبقات العقل ، وهى هى طبقات النفس ، فى عين الوقت ٠٠ فالاطـرلف اللطيفة مـن مراتب النفوس هى مراتب عقـول ٠٠ لذ ما الفـرق بين العقـل والنفس الا الفـرق بين الارادة والشهوة ٠٠ فللعقـل الارادة ، وهى مسيطرة ، وللنفس الشهوة ، وهى مقهورة ، ومروضة ، عنـد العقـلاء العارفين ٠٠ فالعارف لا يتحرك عن شهوة ، وانما يتحرك عن ارادة ٠٠

وجولان الفكر بين الماضى والمستقبل لنما يبتغى ان يعيش صاحبه فى اللحظـة الحاضرة ، لان اللحظـة الحاضرة هى وحـــدها الزمـن الحقيقى ٠٠ والـذى يعيش فيها وحـده هـــو الذى يحيـا الحياة الكاملة ، الخـالدة ٠٠ هل تدرون لماذا نجـد المتعة فى الفنون ؟؟ لانهـا تريح فكـرنا مـــن الذبذبة بين المـاضى والمستقبل ، وتتيح لنا فرصة العيش فى اللحظة الحـاضرة ٠٠ هـــذه خاصـية فى جميع الفنون ، تتفاوت فيها بضروبها المختلفة ، مـع الاشخاص المختلفين ٠٠ فانت اذا سمعت قطعة موسيقية راقية ، أو شهدت فيلما سينمائيا جيد الموضوع ، متقن الأداء ، فانك تظل مشدوداً الى الشاشة مثلا ، منحصراً فى تسلسل صور المثلين ، ومنشغلا بادائهم ، بجمعية لا تبقى لك فرصة للتوزع بين المـاضى والمستقبل ، حتى لكأن الزمن قـد توقف ، فى حقـك ، فى تلك اللحظة التى تعيشها ، وهى لحظة تكاد أن تكـــون خـارج الزمان ٠٠

الانتصار علـــى الزمن الــذى تحققه لنا الفنون الجميلة هـــو أس سعادتنا بها ، ومن ثم هـــو أصل تعلقنا بها •• هـــذا الانتصار على الزمن هـــو الحكمة فى مشروعية الصلاة ، التى هى أعلى العبادات•• ولقــد قررنا انها فرضت من فوق السموات السبع •• ونقرر هنا انهــا فرضــت فى موضعين ، على مستويين •• فاما الصــلاة الفرعية ، وهى المعــروفة بالصلاة الشــرعية ، فقــد فرضت فى موضع مقــام قــاب قوســين أو ادنى : « ثــم دنا فتــدلى * فكــان قاب قوســين أو أدنى » •• وهــذا مقام شفعية ــ شفع جبريل فيــه النبى •• وهى ، لمكان الشفعية هــــذه ، قد جاءت مرهونة بمواقيت : « ان الصلاة كانت علـــى المؤمنين كتاباً موقوتا » ، يعنى « فرضاً » له أوقات يــؤدى فيها •• وأما الصلاة الأصلية فقــد فرضت فى موضع مقام مازاغ البصر وما طغى : « اذ يغشى السدرة ما يغشى * مازاغ البصر وما طغى » ، وهـــذا مقام وترية •• تمت الوترية فيــه للنبى بتخلف واسطته عنه ــ جبريل ــ اذ ليس لــه ههنا مقام •• وانما دل علـــى وترية هذا المقــام وصف الله حــال النبى فيــه بقوله تبارك مــن قائل : « مازاغ البصر وماطغى » •• و « البصر » ههنا « الفكر » •• و (مازاغ) يعنى ما انشغل بالمــاضى •• «وما طغى» يعنى ما انشغل بالمستقبل ، وانما توقف فى لحظته الحاضرة •• فكأن النبى قــد توحد ههنا ، حتى لقــد اصبح وحدة ذاتية ، فى وحدة مكانية ، فى وحدة زمانية •• وتدق هاتان الوحدتان حتى انهما لتخرجان عـــن المكان والزمان •• ومـــن ههنا فقــد تمت لــه رؤية مــن لا يحويه المكان ولا الــزمان •• ولمــا كانت هــذه الصلاة فى مقام الوترية فانها ليست مرهــونة بميقات •• وانما مواقيتها الانفاس الصاعدة والهابطة •• ولقــد قال النبى عـــن الصلاة الفرعية : « الصلاة معراج العبد الى ربه » •• وعــن الصلاة الاصلية : « الصلاة صلة بين العبد وربه » •• فجعلت الصلاة الشرعية

سلماً يرقى باتقـــانه المصلى الى مرتبة الصلة ، حتى يكـــون فى حضرة دائمة مـــع ربه •• راجع (رسالة الصلاة) و « تعلموا كيف تصلون »

معلوم أن الصـــلاة الشرعية تبـــدأ بداية هى مـــن البساطة بحيث يطيق أداءها باحسان اقل الناس ذكاء •• وهـــذه الصلاة تشكل قاعدة الهرم الذى قمته فى صلاة الصلة •• فاذا وضح ان الصلاة هى موسيقى القـــرآن ـــ ولقـــد حاولنا توضيح ذلك فى مقدمتنا هـــذه ـــ فان هـــذه الموسيقى ، اذا ما قـــورنت بالموسيقى المعـــروفة لدينا فى الفنون ، فان المقارنة لا تنهض ، وتنقطع ، مـــن جميع الوجـــوه •• والانشغال بها ، وبضروب الفنون الاخرى ، بخاصة للمبتدئين ، انشغال بخلاف الأولى ، وتقـــديم للمفضول علـــى الفاضل ، ومضـــيعة للوقت فى غـــير وجه حكيـــم •• وهـــذا ما مـــن اجله حـــرمت الفنون فى الاســـلام ، فى المرحلة •• أما للمنتهين المستوين علـــى الجـــادة فى نهايات السلوك ، فانها غـــير محرمة ، علـــى النحو الذى بينا ، فى متن المحاضرة •• ذلك لأن المستوين علـــى الجادة مـــن اصحاب النهايات يعرفون كيف يعطون كل مقام مقاله ، وكيف يرتفقون بجميع الاحياء والأشـــياء فى السير الى الله •• والى هؤلاء تقدمنا باهداء هـــذا الكتاب ، ولقد قلنا فى صـــيغة الاهـــداء :ـــ

الى المنفتحين علـــى الله ،
السالكين اليـــه كل السبل ،
فانه ان مـــن شىء الا وهو
الى الله ســـبيل !!
« وان من شىء الا يسبح بحمده ،
ولكن لا تفقهون تسبيحهم •• »

وأما المبتدئون فانا ندعوهم الى أن يعبـــدوا بـــذكاء ، مبتدئين من الصلاة الفرعية ـــ صلاة المعراج ـــ الصلاة الشرعية المعروفة ـــ سائرين

فى تقليد المعصوم باتقان ، وبــذهن مفتوح ، فى ســـنة عبادته ، وفيما يطيقون مــن سنة عادته •• انهم ، ان يفعلوا ذلك ، يرتقوا ، كل يوم جديد ، درجة جديدة مــن درجات القرب من الــذات العلية ، ويتهيئوا ليسمعوا تسبيح المسبحين بحمد رب العالمين ••

أما بعد فان هــذه المقدمة قد طالت ، وانا لنجــد مجال القــول فيها ذا سعة •• ولكن المجال ، والزمن ، لا يسعفان •• فلنقبض عنان القلم •• ولنضرع الى الله أن يهدينا ، وأن يهــدى بنا ، وأن يعلمنا ، وأن يعلم بنا •• انه نعم المولى ونعم النصير ••

بســـم الله الرحمـــن الرحيـــم

متـــن المحـــاضرة

نبدأ حديثنا عن : « الفنون والاسلام » ، أو . « الفنون فى نظر الاســلام » •• ولابد مــن الاشارة الى المقدمة الطيبة ، البليغة ، التى تكــرم بها السيد رئيس الجلسة •• فهى فاتحة خير ، أن شــاء الله ، لحديث نرجو ان يرفـــع نظر الناس لمـــا تدخره لهم السماء مـــن سعة فى حياة الفكر ، وسعة فى حياة الشعور •• وما مـــن شك أن الحـــديث عـــن الفنون يفتح هـــذه السعة ، فى الفكر ، وفى الشعور ــ يفتح باب الفكر علـــى مصراعيه •• وخاصة اذا ما قرنت الفنون بفيض الســـماء ، فى القرآن ، وفى الاسلام •• ولذلك فقد كنت سعيداً جداً ، لأجد هـــذه الفرصة ، لا تحدث لهـــذا المستوى مـــن المستمعين ، فى موضوع هـــو أصل ما قام عليه الفكـــر ، وما قامت عليه الحياة ، فى مدى ما عـــرف الانسان الفكر والحياة ••

مـــا هى الفنون ؟

والفنون هى عبارة عـــن وسائل التعبير عـــن ملكـــة التعبـــير فى الانسان •• وملكة التعبير فى الانسان أعمـــق مـــــن مجرد انهـــا عمل فكـــرى ، هى فى الحقيقة الحيـــاة •• ملكة التعبير فى الانســـان هى الحياة •• وكل حى معبر ، حتى فى حيواته الدنيا •• وتعبيره بالحيـــاة فى الحياة ، هـــــو حياته نفسها •• الحى عندما يأكـــل ، الحى عنـــدما يتناسل ، الحى عندما يفر مـــن الالم ، ويحاول تحصيل اللذة ، هـــــو فى كل أولئك معبر •• هـــو معبر فى حياته بحياته ــ هو كليته تعبير •• ثم نحـــن ، بطبيعة الحـــال ، لا نطلق عبـــارات الفنون على الحياة فى درجاتها الدنيا ، حيث تعبر بكينونتها كلها ، وانما نطلق عبارات الفنون علـــى وسائل التعبير ، عـــن ملكـــة التعبير ، فى الفكر ــ فى الـــذهن

البشرى •• الانسان يمكن ان يرى ان ارتفاع الانسان ، فى سلم الفكر ، عن الحيوات التى دونه ، من الحيوات العليا ، أنما هو ارتفاع مقدار ، وليس ارتفاع نوع •• الانسان ، فى درجات ، واطوار ، تعبيره عن وجوده ، عندما تغشته الحيوات السفلى ، كان يعبر بلسان حاله ، زى ما دايما يقال فى التصوف ، فى عبارة بالمقال ، وفى عبارة بالحال •• فالحى ، قبل أن يكون عنده عبارة باللسان ، وهو ما امتاز بيهو الانسان فيما بعد ، بيسمى معبر بلسان حاله •• بعدين ظهر الانسان ، واصبح منقسم ، بين التعبير بلسان الحال ، وهو التعبير القديم ، الذى ورثه عن الحياة الدنيا ، وبين العنصر الذى جد بظهوره ، وهو التعبير بلسان المقال •• وفى المستوى دا الفنون خدمتها كبيرة لى آخر درجة للانسان •• الغرض منها ان ترتفع بعقله ، تفتق عقله ، تزيد من حيله ، وتضبط تفكيره ، تدقق تفكيره ، تفتح مجال تخيله ، وعاطفته الى الحد الممكن يرتفع بيه عقله حتى يكون تعبيره بلسان المقال فى مساواة تعبيره بلسان الحال ، الكان قبيل فى بدنه •• نحن باستمرار عقلنا بينمو •• عقل احدنا وجسده كانما فى كفتى ميزان •• نحن فى وضعنا ، اجسادنا عارفة •• دى نقطة افتكر كثيرا ما تجهل •• الاجساد عارفة ، الاجساد لا تخطىء ، ولكن تخطىء العقول •• نحن ، بوسائل التعبير والتمرين ، عاوزين نرفع عقولنا الى درجة الانضباط ، الذى به لا تخطىء ، حتى لكأننا بنحاول أن نوزن كفتى الميزان ، كفة اجسادنا مع كفة عقولنا •• اذا استطعت انت ان ترى فان كفة واحدة شايلة ، والكفة الثانية نازلة •• ولكن باستمرار عقولنا بتنمو ، حتى اذا استقام الميزان بالقسط ، تبقى عقولنا لا تخطىء ، كما ان اجسادنا لا تخطىء • عبارة ان :الاجساد لاتخطي ، انا افتكر بتحتاج الى شيء من الشرح الزائد •• لكنى لا انوى ان اشرحها فى المقدمة •• بساتركها للنقاش ، فيما بعد •• لكن

أوكد لكم انها نقطة مجهولة تماماً ..

الصورة أصل الفنون

الفنون كثيرة ، ما نعرف منها ، وما سنعرف ، كل مرة ، كثيرة — **الكلمة فى الشعر** ، أو النثر ، الصورة بالفوتوغرافيا ، **أو باليد** ، الموسيقى ، النحت ، الرسم .. الكلمة عندما قلناها تجىء فيها الغناء ، وتجىء فيها المسائل البتدخل فيهو .. لكن كثيرة ، ويمكن للانسان أن يقول : الاصل فيها كلها الصورة .. الاصل فى الفنون الصورة . ويمكن أن اقول : انو الصورة — الرسم — يمكن أن يكون أبو الفنون كلها .. جائز ، فى نفس الوقت ، نشأت الموسيقى .. ما من شك انو قبل ما تتطور الموسيقى ، بفنونها المختلفة ، وعلميتها ، ودقتها ، كانت نشأتها بدائية ، كبدائية نشأة **الصورة ، والرسم** .. الصورة هى فى الحقيقة قيمتها فى الفهم ، وفى الادراك ، اكبر من قيمة الموسيقى ، واكبر من قيمة الشعر ، والنثر ، والمسائل الأخرى المشاكلة لها .. والصورة انما عرفها الانسان والفها من الاحلام .. الاحلام صور .. انت لما تحلم حلمه بتشوف صور متحركة .. الصور دى ، عند التأويل ، تنقلب الى معانى . من بدرى الصورة ، فى الحلم ، صحبت الانسان .. لعله من مجرد ما بدأ يكون انسان ، وينقسم .. الحيوان ينام ، ولكنه ما بيحلم .. والانسان ينام ولكنه بيحلم . مافى عبرة بأنو ما بتذكر الحلم ، عندما يصحى ، فانه ، **وان اصبح ناسى** ، هو بيحلم .. لكن فى احلام بيذكرها ، وفى احلام بينساها .. فى احلام صافية ، وفى احلام مشوشة ، ومخلوطة .. ولكن ، مهما كان الامر فان الصورة قد كانت أول اسلوب تعليم واسلوب تعبير للانسان .. لعلنا ، نحن البشر ، اتعلمنا عن الدين ، وعن الحياة

الاخرى ، مـــن الصـــور ، ومـــن الاحلام ؛؛ وبكل بساطة ، الانســـان الاول لمـــا كان بيرى أن أبوه المـــات ، بيراه بيعمل فى عمـــل زى العمل الكان بيمارسه فى حياته ، شـــايل طوريته يزرع ، أو شـــايل حـــربته يصـــيد ، أو بيعمل عمـــل فى بناء بيت ، صـــور زى دى أعطتنا الفهم الاولانى عـــن الحياة الاخـــرى ؛؛ ثم توكد هـــــذا الفهم حتى جاء الوقت الذى اصبح الناس فيه متأكدين من الحياة دى ــ متأكدين حتى انهم كل ما يحتاج اليـــه الانســـان فى حياته يدفنوه معـــاهو عنـــدما يموت ؛؛ الصور دى ، هى المستمرة لغاية الوقت الحاضر ، فيما نصور نحـــن الاشياء ؛؛ والمعـــانى المجـــردة ما ها معـــانى مجردة ، الا لأن ادراكنا ليهـــا قاصر ، ورؤيتنا لصورها عاجزة ؛؛ العقل القوى بيدرك المعنى المجـــرد كأنما هـــــو صورة مجسدة ؛؛ النشأة دى اذاً نشـــأة قديمة جداً ، صحبت الانقسام الاولانى ، بين العقل الواعى ، والعقـــل الباطن ؛؛ الاحـــلام عبارة عـــن محاولة العقـــل الباطن ــ الذى هو ، بايجاز ، الجسد القبيل قلنا عنه ما بيخطىء ؛؛ الجسد وقع عليه كبت ، فى معنى ما وقعت ســـيطرة العقل علـــــى الشهوة عنـــدما دخل الانسان مرحلة الانسانية ؛؛ الكبت دا عنـــدما يرفع ــ الكبت البمارسه العقـــل الواعى علـــى العقـــل الباطن (العقل علـــى الجسد) ــ عندما يرفـــع بالنوم ، العقل الباطن (الجسد) بيحاول أن يعبر عـــن وجوده بالصور البنسميها نحـــن الاحلام ؛؛ اذا كان الانسان شاف فى الاحلام الصور بالصورة دى ، يمكنـــك ان تـــدرك ، بصورة واضـــحة ، أن الرسم ــ التصوير تابع ليهو ــ هو أصل الفنون ؛؛ وبمجرد من ان الانسان عرف كيف يعبر ، كان التعبير بالصوت ، وبالاشارة ، وبالصورة ، ومما لا شك فيه ان الانسان الأولانى كـــان ، فى اغلب الاحيان ، بيرسم الحيـــوان البيصيده ، وكان فى فكرة ، ان رســـم الحيوان البيصيده يعطيه قـــوة روحية وسحرية تعينه عليه ؛؛ الحيوان الانت رسمته دا ، أن كان رسمته

فى الارض ، أو فى جدار الكهف ، انت بتصيده •• ويمكـن للانسان أن يقـول ـ ودا على التحقيق ـ ان الحروف الأبجدية التى نحـن ، فيما بعد ، أخذنا نكون منها الكلمة ، هى صورة مـن تطوير هـذا الرسـم الأولانى •• يعنى انت اذا كنت عاوز تعبر لى أنا عن تور ، بترسم لى التور •• ما فى عبرة ، بطبيعة الحال ، بأن الرسم دا دقيق أو ما دقيق، لكن المهم انى أنا بفهم عنك ما تريده •• بعض الناس يجيدوا الرسم ، وبعضهم ما بجيدوه ، لكن ، على كـل حال ، العبارة بتجىء •• قليل ، قليل ، تمشت العبارة ، وتطورت ، وبدل انت ما ترسم التور كله ، يمكنك أن ترسـم رأسه والقرنين ، وأنا افهـم عنك •• ما فى داعى لرسـم باقى الجسم ••

المـوسـيقى :

تطـويراً مـن الصور جات الحـروف •• الحروف الابجـدية ، فى كل لغـة من اللغات ، هى تطـوير لصور كـان الانسان بيخططها ، وبيرسـمها فى الاول •• اذن الرسم ، هـو بالصورة دى ، أول الفنون وأهمها •• تجىء مسألة الموسيقى •• الموسيقى برضـها قديمة •• هى قديمة ، قدم الصورة لانها الحركة •• الموسيقى هى الحركة التى بها برز الوجـود •• مـن دى جات موسيقى الصوت الموقـع وموسـيقى الآلات ، ومشينا نحـن فيها نطورها لى قدام •• فالوجـود دائما فى ثنائية ، بالصورة دى ال نحن شايفنها •• مثـلا ، الليل بيعقبه النهار ، فهما نغمتان ، مثلا ، نحن بنمشى على رجلين ، بالصورة البنمشى بيها ، كـأنما هما نغمتان •• كذلك ضـربات قلوبنا ، هما نغمتان •• بعـدين الانسان لما تقدم لى قدام ، حاول ان يملأ بالنغم المحسوب ، الهادىء ، المسافة ما بين هاتين النغمتين •• قل ان شئت حاول الانسان بطـريقة علمية ، وحسابية ، أن ينتقل بين النغمتين الاولى ، والثانية ، انتقـالا

هادئا ، منسجماً ، منغماً ، من غير شذوذ ، ولا نشاز •• وهذا ما سمى بالسلم الموسيقى • فالسلم الموسيقى قــد توصل اليه بأخـــذ خيط يشد أوله مـــن هنا ، واخره من هنـــاك ثـــم يضرب ضــرباً خفيفاً وتقـــاس ذبذبته ، ثم يقسم نصفين ، وبعدين يضرب ضرباً خفيفاً ، ويشوفوا الذبذبة بتاعته وتقاس ، ثم يقسم الى أثلاث ، وأرباع ، ثم تقاس الذبذبة وهكذا •• السلم الموسيقى جاء مـــن حاجة زى دى •• وكذلك ملئت الفـــرقة بين النغمتين الكبيرتين •• زى دى ضربة قلبك الاولانية والثانية •• الفرقة دى تملأ بنغمات هادئة وموزونة تصعد علـــى السلم الموسيقى السليم •• ولذلك الموسيقى عـــــريقة بالصورة اللى يمكن للانسان أن يقول انهـــا تضارع الرسم ، لكن ادراكها جاء متأخر اكثر •• اذا جينا نحـــن للنحت برضو قديم •• الغناء قديم ••

الفنـــــون والأديـــان :

لكن يمكن للانسان ان يقول : أنه ما من فن من الفنون ، الا ونشأ فى معابد الدين •• أصلو ما عـــرف دين ، ما فيهو موسيقى •• يجوز مسألة الرسم ، والنحت ، فى بعض الاديان مـــا فى •• **لكن الموسيقى ،** بصـــورها المختلفة ، ما عـــــرف دين مـــا عنـــدو ، حتى ولـــو كـــان الايقـــــاع البكـــــون بالطبـــل ، أو بكـــون بالطـــار ، أو بكـــون بالنوبة ، الى ان يجىء « للاورقن » بتـــاع الكنيسة ، بالصور المختلفة فيه •• لكن ما من شك فى ان الصلة كبيرة بين الفنون وبين الاديان •• والسبب فى عـــلاقة الفنون بالاديان ، هـــــو ان الأديان تعبـــير ، زى ما قلنا قبيل •• الملكه الفينا ، عاوزة التعبير **هى الحياة** ••

نشأة الأديـــان :

الاديان نشأت من تجاوبنا مع البيئة •• الانسان الاول عندما شاف البيئة الحوله ، والقوة الهائلة الفيها ، استطاع ، بذكائه الفطرى البسيط ، أن يرى انو القوة فى البيئة المحيطة بيهو ، يمكن تقسيمها الى قسمين :ــ

فى قــوة هائلة ، رهيبة ، كبيرة ، شـــعر مــن الاول انو ما عنــدو بيها قدرة •• وفى قوة بسيطة ، مثل الحيوان المفترس ، أو العدو •• المشاكل البتقع فى المستوى دا هــدته الى أن يتفنن فى الحيل لمواجهتها ومقاتلتها •• وكذلك فعل ••وا ما القوى الهائلة، فقد حاول أن يوجد نوع مــن الموافقة بينه وبينها •• حاول أن يوجد نوع مــن الصــداقة •• حاول يتملقها •• حــاول يعبدها •• دى كلهــا صور مــن الحيلة وعنها نشأت العبادة •• نشأت العبادة نشأة ســاذجة •• الواحــد يحب ان يقــول ، ودى نقطة بتحتاج لتوكيد ، أنو الانبياء ما جو ليقولوا لينا ، « الله فى » •• لــى دى نحـــن مــا محتاجين •• نحـــن البشر ، ما محتاجين لان يورونا أنه هناك قــوة هائلة نحــن بازائها قاصرين ، وعــن منــازلتها عاجــزين ، وأن مــن الواجب ان نوجــد نوع مــن المصالحة معها •• ســميها ما شــئت •• ما مـــن شك اننا نحـــن ما سميناها بالصور المجــردة مــن الاسماء التوحيدية •• الرسل جــو لى دى •• الرسل جو ليعرفونا صفات الله ، واسماءه ، لكن ، للشعور به ، فقــد وجدوا الاستعداد عنــدنا مركوز فى فطرتنا •• اننا بنعرفه بمعنى اننا بنحس بيهو ، لكــن صفاته ، واسماؤه ، وافعــاله ، لكــن المعــانى المجــــردة فيها ، البتخرجنا مــن التجسيد فى العبــادة الى التجــريد ، دا هـــو ما مـــن اجله جاء الرسل • فلــذلك الانسان الذكى ، والعــارف ، يشعر بان الدين نشأ نشأة فطرية ، وفى الارض ، وسابق للرسل •• ولعــل الرسل السابقين للاديان هم رسل العقــول ، مش رسل البشر •• العقــول دى أدركنا بيها وجــود الله ادراكــات ســاذجة ، وبدائية •• هنا عبرنا عـــن مخاوفنا بازاء القوة الهائلة ، فكان الــدين •• ومن اجــل دا العــلاقة الكبــيرة بين ملكة التعبير ، وبين الدين ، وبين استخدام الدين لوسائل التعبير المختلفة فى الفنون •• قررنا ان الموسيقى كانت نشأتها قديمة جدا •• ونقرر هنا عــن النحت

برضــو •• الناس كانوا بينحتو الالهه كأصـــنام ، مــن بدرى خالص ، قبل ما يجيء اساتذة الفنون ، مــن اليونان ، ومــن الرومان ، ومـــن غيرهم ••

النحــت والمبـــادات :

النحت الساذج كـــان محاولة لتجسيد ما يتصوره الانسان عـــــن الله •• ودايماً الانسان بيتصور الوجود فى صورته ، حتى الله ، نحن بنصوره فى صورتنا •• وكذلك حكمته الالهية جات علـــى السنة الرسل لتعطيه صـــفات زى صـــفاتنا ، فلو لا أن الصفات مشتركة بيننا وبينه ، ما بنعرفه •• فى الغالب الأعم ، يمكنك أن تطلق المسألة دى ، ان النحت كان قد نشأ لنجسد بيه الصورة البنعبدها نحـــن ، فى حيز نقدر نحيط بيهو ، ونعرفه ، وندركه ، ودا ما سمى بالأصنام •• وما فى عبادة من العبادات الا ونشـــأ التجسيد فى معابدها ، النحت والفنون الاخرى •• الواحد يمكن أن يقـــول انها كلها فى البداية وجـــدت ملكاتها الأولى ، ثم تطـــورت ، بصور مختلفة ، فيما بعـــد ••

الحيـــاة والفنـــون والجمـــال :

اذا كان قلنـــا : الفنون هى وســـيلة التعبير عـــــن ملكة التعبير فينا ، يبقى ملكة التعبير دى عاوزة شـــنو ؟؟ ملكـــة التعبير (الحياة) عاوزة أن يكـــــون فى تنغيم للحيـــاة ، عاوزة أن تكســـر ، وتطـــامن ، الشذوذ ، والنشوز ، الفى الحياة ، عـــاوزة تناســـق ، عـــاوزة جمال ، ان شئت •• لانه ، فى الجمـــال ، النفس البشرية بتجـــد طمأنينتها ، بتجـــد راحتها ، بتجـــد خروجها مـــن شذوذ المغـــامرة ، والمخـــاطرة ، والمفاجأة •• يعنى النغم الموســـيقى المنســـجم يريـــح انفســـنا لانو بيوجـــد ، فى الـــداخل ، طمأنينة تخـــرج مسألة الانزعـــاج البيجىء بالاصوات الصـــاخبة ، المفـــاجئة ، النشاز ، زى مـــا بنسميها •• كـــل

صورة فنية مـن صـور التعبير محـاولتها هى أن توجد الجمال ••
الفنون بشتى وسائلها ، وطـرقها ، محاولتها انمـا هى أن توجد الجمـال •• اذا كـان الانسان سأل عـن الجمال : هو شنو ؟؟

مـا هـو الجمـال :

اذا كان قلت : ان الجمال هـو التناسـق ، مثلا ، فانت علـى حـق ، ولكـن ما كـل الحـق •• أنا أحب أن أقترح حـاجة هى فى البداية فى الموضـوع ، اقترح ان الجمـال هـو العدل الانسانى •• العـدل الانسانى يمكنك ان تقـول عليهو جمـال •• زيد عـن العدل الانسانى •• تعال فى المحبة الانسانية ، المعيشة مـع الناس فى سلام ــ السـلام •• أنا أحب أن اقـدم ليكم النقطة دى لتكـون هى نقطـة اعتبار • ما مـن شك أنا عنـدى أن الجمال هـو السلام •• بعدين نحـن ما بنصل للسلام مـع الآخـرين الا اذا كنـا فى سلام مـع أنفسنا •• السلام مـع انفسنا معناهو اخراج النشاز القائم فى البنية البشرية •• البنية البشرية مقسومة •• القسمة الأولانية ، القبيل قلناها •• ولولا أن الانسان انقسم ، لمـا اترقى ، فى المكان الاول •• الحيـوان ما منقسـم ، الطفل ما منقسـم ، الا بما ورث • لكـن ، فى عمـره البيعيشه فى بداية حياته ، ما منقسم ، لكنو وارث للانقسام ، وبيعيش فى المجتمـع البيقسمه ، ماشى لينقسم ••فلـولا أن الانسان انقسـم لمـا تـرقى ، ولمـا كمـل •• انقسامه بيمثـل انو عنـدو رغـائبه الأولانية البسترسل فيها كحيوان ، ما بيقيف عند حد •• ما فى ضابط ، الا تحصيل اللذة ، والفرار مـن الألم •• واستمر الاندفاع دا ، ولكنه عندما جاء الانسان ليكون بيعيش فى مجتمع ، وجـاء العرف ، وجـاء القانون ، وجاء الحـلال والحـرام ، اللى نحـن نوشك أن ندخـل فى الكلام عنو ، فيما سنتحدث عـن الاسلام ، لمـا جاء الحلال والحرام ،

أو قل ، ان اردت الدقة ، لمـــا جاء العـــرف الأولانى (يمكن دا تجوز كثير فى استعمال الكلمة ، لما نحن نبدأ فى البدايات) ، لكن مجرد أن يكون فى عـــرف يقول انو دا يعمل ، ودا ما يعمل ، بـــدأت الشخصية البشرية تنقسم ، بمعنى انو انت اصبحت فى حاجة تضبط اندفاعاتك الأولانية ، الكانت قبيل عندك مندفعة بدون ضابط •• رغائبك كلها مـــا فى استعداد لان تستجاب •• المجتمع عاوز حاجات مـــا تعمل •• انت احـــد رجلين بتكـــون •• الفرد كان فى الوضـــع دا احد رجلين : اما رجـــل استرسل ليقضى لبانته ، زى ما كانت ، وبطبيعة الحـــال ، بتقع عليهو العقوبة البتقع ، وهى قـــد كانت عقوبة صارمة جداً فى المجتمعات البدائية •• أو رجل يكون عندو مقدرة علـــى أن يضبط نفسه •• كانت العقـــوبات العملت فى المجتمعات الماضـــية جلها مـــن شريعة التحريم والتحليل •• العقوبات التى لا تزال عندنا الآن •• هـــذه العقوبات الغرض منها أن تقـــوى الارادة البشرية البتسيرك وفق ما يجب •• ومـــن ههنا جـــاء الانقسام •• والانقسام دا مرحلة •• لـــولا أن الانقسام جاء ، لمـــا ترقى الانسان •• اذا لم يزل الانقسام ، لا يكمل الانسان •• فنحـــن اذن بنترقى فى مرحلتين : المرحلـــة الأولانية هى الانقسام ، والمرحلـــة الثانية هى ضم الانقسام ، وتوحيد البنية البشرية الانقسمت ••

الى حـــد كبير ، الفنون فى التعبيرات المختلفة ، فى ابراز الجمال ، وقيم الجمال ، فى تنغيم حياتنا الداخلية ، وحياتنا الخارجية ، غـــرضها ان يكـــون الانسان مـــع المجتمع انسان محب للقانون ، انسان منظم ، انسان عندو ســـيطرة علـــى اندفاعاته ، وعلـــى نفسه ، انسان يملك أن يسير بسفينته وســـط الانواء فى الجمـــاعة •• وهناك نوعان مـــن التنغيم : تنغيم الفرد مـــع الجماعة •• وتنغيم الفرد مع نفسه • . نحـــن بنحاول أن نطور الجماعة لتكون راقية ، حتى انك لمجـــرد تنغيمك نفسك معها ، وانسجامك فيها ، وتوائمك معاها ، تكون انت اترقيت •• ثم لابد

لك مـن المحاولة الفردية فى أن توجد التنغيم الداخلى بين انقسامك ، لاننا نحـن لمـا انقسمنا قامت فينا قـوة ضد قـوة ـ قوة العقـل الواعى (الارادة) ضـد الفطـرة الأولانية « الشهوة » العاوزة تحصـل لذتهـا بكل سـبيل •• نحـن عاوزين نوجـد التنغيم دا بيناتن •• يمكنك أن تقول : فى نغمتين نحـن عاوزين نملأ الفـراغ بيناتن •• زى ما قلت ليكم عـن المـوسيقى ، عـن التعبير الفنى كله •• بالصور دى نوجد السلام الداخلى •• بالسلام الداخلى يجىء السلام الخارجى •• اذا كان الامر بالصورة دى ، فانى محـق اذ قلت ان العدل هـو الجمال ، وزدت علـى المسألة دى وقلت الخلق ، وزدت وقلت المعيشة فى سلام •• السلام هـو الجمال •• أنا افتكر انو دا قمة ما نحـاول نحـن أن نعبر عنـو •• حتى التناسق فى اعضـاء الجسد اللى انت بتنحته ، دا يمكنك أن تسـميه عـدل ، اذا شئت •• اذا زدت عليهو ، فهى تبقى مسألة اعطاء كل عضو مكانته مـن الضبط ، والنسبية ، والدقة ، والقـوة ، حتى لكأنك بتوجد جسد فى سلام مـع بعضه ، ما متنافر •• التناسق سلام •• دا كل ما يمكن ان تهدفه ليهو الكلمـة ، اذا كانت شـعراً أو نثراً أو غناء •• كل ما تهـدف ليهو الموسيقى •• كل ما يهـدف ليهو النحت ، والتصوير •• كل ما تهدف ليهو التعبيرات فى الرقص ، وفى كـل وسائل التعبير عـن ملكتنا •• وهو هـو كل ما تهدف ليهو العبادة أيضا •

مـا افتكر ضـرورى نتكلم عـن الفنون اكثر مـن كدا ، لانـو المجـال مفتوح فيها لنقاش أطـول •• والأن نجىء لنظرة الاسـلام للموضوع دا :ـ

نظـرة الاسـلام الى الفنون :

أول ما يجب ان يقال انو ما فى حرام ، وحلال ، الا فى اعتبارات

الشـريعة •• ما فى حاجة هى حـرام فى ذاتها •• الاعيان مـا فيهن حرام، لكـن الحـرمة حكـم •• والسر فى الحكـم ان تكـون عندنا الارادة البتسـيرنا بين الحـلال والحـرام •• نأخذ مـن الحـلال ما شئنا ، ونجتنب الحـرام •• عنـدما تحـاول تجتنب الحـرام فى دوافع داخلية عاوزة منك ضبط ، وقوة ارادة ، وقوة فكر ، لتمنعك مـن التردى •• دى الحكمـة فى الحـرمة ، حيث وجـدت ، مـن نشأة العـرف الأولانى ، والى يوم الناس دا •• ما فى حاجة هى حـرام فى ذاتها •• وربنا يعبر لينا عن دا ، ويقول : « ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم ، وآمنتم ؟؟ وكان الله شاكراً عليما » •• أو يقول : « قل من حـرم زينة الله التى اخـرج لعباده والطيبات مـن الرزق ؟؟ قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة •• كذلك نفصل الآيات لقـوم يعلمون * قل انما حـرم ربى الفـواحش ــ ما ظهـر منها ، وما بطن ــ والاثم ، والبغى بغير الحق ، وان تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا ، وان تقولوا على الله ما لا تعلمون •• »

كل المحـرمات مـن الصور الحسية انما هى حـرمة بالحـوالة واما الحـرمة بالاصـالة فانما هى عيـوب السلوك •• السلوك يبـدأ بالطـريقة البتعيش بيها ، فى سـلام مـع نفسك ، وفى سلام مـع الآخرين ، وهـذا هـو مـا سميناه « التنغيم » مـع المجتمع ، أو العـدل ، أو السـلام ــ فكل ما حـرم انما حـرم من اجـل تربيتنا لنستطيع ان تكتمل عقولنا ، وادراكاتنا ••

الحـرمة حكـم شـرعى :

هنا ، اذا كان الانسان شاف النقطة دى حقيقة ، وذلك كونو التحريم حكم شرعى ، والحكم الشرعى ، دائما بتوخى تسييرنا نحـن فى المراقى المختلفة ، يبقى ، بطبيعة الحال ، وبالبداهة ، بننتظر ان يكون فى سماحة ،

ان يكون فى تغيير فى شدة التحريم كلما تغيرت ادراكاتنا ، ولذلك الحرمة كانت غليظة فىالاول ، وبدت تقل ، وتقل ، لغاية ما هى ماشة لان تفضى الى الحل •• القرآن يقــول لينا « ليس علـــى الذين آمنوا ، وعملوا الصـــالحات ، جنـــاح ، فيما طعموا ، اذا ما اتقوا ، وآمنوا ، وعملوا الصـــالحات ، ثم اتقوا ، وآمنوا ، ثم اتقوا ، واحسنوا •• والله يحب المحسنين » أو يقول هناك «قل لا أجد فيما اوحى الى محرماً على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة ، أو دما مسفوحاً ، أو لحم خنزير فانه رجس ، أو فسقاً أهل لغير الله به » فهذه اربعة •• ثم قـــال مواصلا سياقه : «فمن اضطر ، غير باغ ، ولا عاد ، فلا اثم عليه» •• الضرورة ترفـــع الحـــرمة •• المعـــرفة ترفـــع الحـــرمة •• لانه قد انتفى حظ النفس عند المضطر ، كما ينتفى حظها عند العارف بالله •• هنا ، اذا كان بقى واضح فى اذهاننا أنو التحريم أطوار ، وان الحكمة وراءه تربيتنا ، يجيء موضوعنا فى الاسلام •

الاسلام بيحـــرم النحت ، وبيحـــرم الرسم ، وبيحـــرم ، تبعاً لـــذلك ، التصـــوير •• ودى فيما روى عـــن ابن عباس انه قال ان النبى قال : « مـــن صور صورة يعذ به الله حتى ينفخ فيهـــا الروح ، وما هـــو بنافخ فيها ابداً •• »

صور الفوتغرافيا الحـــرمة قائمة فى حقها ، ولكـــن بصـــــورة أخف •• حـــرمت الموســـيقى ، وحـــرم الغناء ، عنـــد بعضـــــهم ، ما كلهم •• بعضـــهم بيرى أن الغناء ما حـــرام ، لكـــن ، فى عبارة ، انو لهـــو ، وكل ما يلهى عـــن الله ، عنـــد بعض المتشددين مـــن الفقهاء ، فهـــو حرام •• الحكمـــة فى التحـــريم مرحلية •• الســـبب فيها انو الناس ، زى ما قلنا ، كـــان عهـــدهم قريب بعبادة الأوثان ، وبالجاهلية ، ويمكـــن أن يحنـــوا الى الاوثان بالعبادة اذا ما رأوهـــا تنحت •• برضهم كانوا قريبين عهـــد باللهو ، فى مواخير الجاهلية ، من

غناء ، ومـن رقص ، ومـن موسـيقى •• حرمت عليهم المسـائل دى لتعطيهم فرصة ليجمعوا انفسهم عليهم بـدل التوزيع البيحصل للانسان المعرض للغناء ، للهـو •• اذن يمكنك أن تقول ان الاسلام حرم مـن الفنون النحت ، والرسم ، والتصوير ، وكل ما يكـون ليه ظل •• حرم رسم أو تصـوير الانسـان ، أو الحيوان ، أو الطائر ••

رسـم الطبيعة غـير محـرم :

تسامح الشرع فى رسم الجبال ، أو رسم الشـجر ، أو زخـرفة الاقمشـة ، بالصور اليمكـن أن تكـون ماها انسان أو حيـوان ، أو طـائر •• الغـرض من التحـريم أن يقطـع حنين الانسـان للعبادة الوثنية •• أو ، بأيجاز ، يمكنك أن تقـول : ان تحـريم الدين ـ تحـريم الشريعة الاسلامية ـ للموضوع دا الغـرض منه مرحلى •• اذا كان هسع أى واحد مننا شـاف ليهو تمثال زى دا ، ما بينبعث فى ذهنه أى نـوع مـن العبادة ، أو أى شـعور بيها ، أو ميل •• الناس ، فى اول عهـدهم بالاسلام ، بينبعث فى ذهنهم شـعور زى دا •• لكـن ما ممكن أن ينبعث فى ذهنك ، أو فى ذهنى ، ولا فى ذهن أى واحد مـن الناس فى الوقت الحاضر •• لذلك الحكمة فى التحريم هـذا ، انما هى حكمة مرحلية ، الحكم فيها هـو حكم الوقت كيفما يكون •• والسر فى هـذا الحكم بينسـحب علـى حالة عبـادة النـاس فى وقتهم المـاضى ، كما ينسـحب علـى حالة العبـادة فى الوقت الحاضر ، ولكن لكل وقت حكمه •• فهـل يمكن للانسان ، مثلا الداعى الاسلامى ، فى الوقت الحاضر ، هل يمكن له ان يقـول للناس سيروا بطرق الفن الى الله ؟؟ بمعنى آخـر هل الدين (الشريعة) رفع كل اعتراضه علـى الفنون ؟؟ تلقى انو برضـو المسألة فيها نظـر •• هـذا النظر هـو تربية الانسان الفى حاجة لتربية •• كل مبتدىء

التوزيع يضره •• اذا كـــان الانسان سار بالطـــريق الـــدينى المرسوم ليهو ، وكانت محـــاولته هى أن ينحصر فى أن يوجـــد نتيجة بطـــريقة الدين ، اللى هى العبادة بالصورة الموجودة عندنا فـــان الفنون توزعه ، والتوزيع يضره ••

الفنون تســـير النـــاس الى الله :

اما اذا استوى ، فمن الممكن لهـــذا الانسان أن يتخذ كـــل وسائل التعبير لتسيره الى الله •• الانسان الاستطاع أن يجـــد فرصة لتوجيه ، ورياضة نفسه ، حتى اصبحت عندو فلسفة حياة ـــ عندو نظرة للاشياء ، عندو اتقان للتوحيد ـــ ما فى شىء ، بالمرة ، يقطعه ، أو يوقفـــه عـــن الله •• النحت يـــوديهو لى الله ـــ يســـيرو لى الله ـــ الموســـيقى تسيرو الى الله ، الرقص يسيرو لى الله ، وكل وسائل التعبير تسيرو لى الله •• فى المـــرحلة الأولانية ـــ فى شريعة الاســـلام ـــ المسائل دى حرمت •• هى محـــرمة بنص الحـــديث القريتو ليكم ، وذلـــك لانهـــا بتوشك أن تخلى الانسان يحن للعبادة ـــ عبادة الاوثان ـــ وتلك عبادة هـــو قـــد كـــان قريب عهـــد بيها •• أما فى الوقت الحـــاضر ، فى المرحلة الحاضرة ، فما أحب أن اقـــوله هـــو ان وسائل الفنون كلهـــا راح تسير الناس لى الله •• هسع ، فى الوقت الحـــاضر ، كل المطلوب مـــن الناس هـــو ان يتوخوا ، فى أول مرة ، كيف يسيروا ، بطريق العبادة ، ليوجدوا نوع مـــن التماسك الداخلى ، نوع مـــن النظرة الموسعة •• بعدين كل انواع الفنون راح تكون مسيرة الى الله ••

المبتـــدىء يضـــيق عليـــه :

بايجاز !! التحـــريم فى النهج البدائى للاسلام مؤكد •• فهـــو ضـــد الموســـيقى للمبتدىء ، ضد النحت ، ضـــد التصوير ، ضـــد

الرقص ، ضــد كل مسألة مــن المسائل البتوزع المبتدىء •• اذا كــان الانسان استطاع أن يحصر نفسه فى نهج واحد ، اللى هـــو العبادة ، ثم فى محــاوله احــراز التوســع (باتقان التوحيد) فى المســائل الاخرى ، مــن اساليب التعبير المختلفة ، والفنون اقــدمها ، والكلمــة اسلمها ، افتكــر بيكون فى سعة فيما بعد •• لكــن ، قبل ما تكــون فى سعة ، القاعدة عندهم أنو المبتدىء ، زى ما بترد العبارة الدارجية : « المبتدىء ابرته ما بتشيل خيطين •• » •• المبتدىء يجب أن يكــون عنده اتجاه فى الانحصار ، فهــو لا يمكــن ان يسمح ليهو ، فى مسألة الارتقاق بالفنون ، الا بالكلمة ، وموش بالموســيقى ، لان الموســيقى لا تعطى معنى محدد •• عنــدما انت يكــون عنــدك استعداد لتدرك عـــن الوجود كله ، فان الموســيقى أبلغ مـــن الكلمة ، لان الموسيقى تقول لك كــل شىء عجــزت الكلمة عـــن ان تقوله •• لكــن عنــد المبتدىء الموســيقى بتشوش عليهو ، وأما الكلمة فانها محددة •• ولذلك تلقى ان القرآن يتخــذ موســيقاه مـــن الكلمات أولا ، ثم هـــو ينطلق فى موسيقى علوية ، كأنما هى موســيقى الوجود كله •• عنــد الكمــال ، للمكتمل ، القــرآن بيخــرج عـــن كونو عبارات محددة ، ومضبوطة ، وبالصورة دى ، يبقى وحى علوى ، يعلمك كل شىء ، بدون أن يعلمك شىء بعينه ، خصوصاً المتشابه مـــن القــرآن •• فــاذا كان أنا شخصياً سئلت عــن النهج اللى حقو يتجه ليه المسلمون كلهم ، فى الأمر دا ، أنا اعتقد أنهم كلهم يجب أن يتجهوا للعبادة ، بالانحصار فيها ، ثم فى تفتق الذهن ، فى اثناء العبادة ، فى معــانى الكلمات مــن القرآن ، وفى الشــعر الجيد ، مـــن الشـــعر العرفانى ، وباستمرار يكــون فى توســع •• وكلمــا انت اتقنت التوحيد ، كلمــا قلت دائرة المحرمات عليك ، الى ان تكــون انت الانسان العندو الملكة التى تتلقى العلم بالله عـــن كل شىء •• مافى فى الوجـــود شىء ما بيدعو الى

الله •• ابليس ، زى جبريل ، داعى لى الله •• الله ، فى الحقيقة ، ما عندو عدو •• لكن ، فى مرحلة الشريعة ، الوجود مقسوم الى داعى لغير الله ، والى داعى لى الله •• مما يدعـو ، فى المرحلة ، لغير الله كـل ادوات اللهو ، ومنها الفنون •• اذا كان انت استويت على الغاية ، بتسمع وترى الوجود كله جنود لى الله ، ودعاة لى الله ، ورسل من الله اليك تسـوقك لى الله •• فاذا كنت انت فنان موهوب ولكـن مـا وجـدت الفرصة لتنحصر فى العبادة ، لتعرف ، لتخرج من الثنائية دى بتجـويد مستوى مـن التوحيد ، مـن المؤكد ان الفنون قـد تسيرك درجة ولكنها راح تقطعك ، ما بتوديك لى قـدام •• اذا كان فى شىء ، مـن العلوم المدنية ، بسير الناس الى سماحة فى الخلق ، الى مستوى مـن التنغيم الداخلى ، الى نوع مـن العـلاقة الحسنة مـع الحياة ــ نوع مـن السعة ــ فأن ذلك الشىء لهـو الفنون ، ما فى ذلك شـك •• ولكـن وسيلة الفنون قاصرة الا اذا تم لهـا التتويج بوسيلة الدين •• فكأنو ، اذن ، الاسلام فى أوله ، وفى آخره ، اعنى فى دعوته الأولانية ، وفى دعوته الثانية بيحـرم هـذا المسـتوى مـن الفنون ، لكـن داك علـى التعميم ، اعنى شـريعة عمومية ، ودا لكـل فرد شريعته ، اعنى شريعة خصوصية •• الحاجة السليمة هى انك انت تتوجه ، وتنحصر ••

كـل الفنون حـلال اليـوم :

انا شخصيا ما راح اكون مـن البوصوا انو يجىء تشريع يقـول الفنون حـرام •• لكـن يجب ان يجى تفهيم للناس يقـول لكل واحد: اذا كنت انت ما اسـتويت ، فى التوحيـد ، علـى درجة معينة مـن الاستواء ، فان الفنون بتصرفك ، وبتوزع جمعيتك ، وبتقطعك •• الفنون هى خير اساليب التسيير الى الله ، ولكن بعد ما انت توجد نوع مـن التنغيم الداخلى ، بتجويد التوحيد ، بالانحصار فى العبادة ، بالخروج

مـــن الدوامة بتاعة المجتمع ، وبتاعة التغييرات **المختلفة ، فى الفنون المختلفة** •• لغاية ما انت توجـد نوع مـــن القالب البتصب فيهـــو نفسك ، وتصوغ اخلاقياتك ، وتجـد فلسفتك •• فـان انت وجـدت فلسفتك فى الحياة ، فانك خليـق ان تنفتح علـــى كل الفنون ، وكلهـا بتسيرك لى الله ، وســيكون عندك حظ موفور مـــن ادراكها •• وقـد يكون عندك خط مـن تجـويدها ، اذا كنت فنان ، بكل وسـائل التعبير فيهـا ، باكثر مما يكـون عنـدك قبل ان توجد هـــذا النوع مـــن التربية الداخلية •• مـــن اجـل دا ، انا افتكر ، العبارات الكثـيرة الواردة فى الدعوة الى تنزيه القرآن ، وانه ما هـــو شعر •• القرآن يشبه الشعر ، وما هو بالشعر : «وما علمناه الشعر ، وما ينبغى له !!». وانت ، اذا جيت لدقائق القرآن ، فانه الشعر !! **و اكثر من الشعر!!** ولكن ملابسات الشعر فى عدم الالتزام ، وعدم الصدق ، هى ما نفـاهو الله عـــن القرآن ••

الاخـــلاق والفنـــان :

انا افتكر برضو الفنان ، كائناً مـــن كان ، **سواء اكان نحات ، او** موسيقار ، أو مصـــوراتى ، أو راقص ، أو ممثل ، بتلقاهو ما هـــو ملتزم ، ما عنـدو خلقية معينة ، اللهـم الا خلقية بيعتقد ان الفـــن بيســتلزمها •• الخلقية الأنا بقصدها انما هى الصـــدق فى مســتوى الفعل ، القبيل انا قلته ـــ الصدق الذى يتحد فيه الفكر ، والقـــول ، والفعـل •• انا ما بعتقد ان الفنـــان ما عنـدو قيمــة خلقية فى نفسه يلتزمها ، لكن ، ما من شك ، انو موش فى مستوى الانضباط اللى نحن بنقصده •• لعل الفنان ، الموزع بالصورة دى ، بتلقاه يظهر بمظهر البهدلة كدا •• يرسل لحيته بصورة بدون تهذيب ، ولا تنظيم ، أو يلبس ملابس **مهزاة ، او يكون ماسائل فى** النظام ، أو فى رأى المجتمع •• **قد يكون،**

انا افتكر ، انه هـو بيبحث عـن قيمة • انا بحب ان اهـديه للقيمة دى ، هى فى العبادة والقرآن •• سيجدها حاضرة حين يتجـه للالتزام بادب القرآن — ادب شريعته وادب حقيقته ••

هنـا اقف ، واترك ليكم الفرصة للنقاش •• اكتر مـن كدا كتـير عندنا مما يمكن ان يقال ، ولكـن ، ما مـن شك ، انكم بتعينوا كتـير بمشاركتكم فى النقاش لاجلاء القضية دى •• شكراً